

مفاهيمٌ حولَ سيبويه وكتابه (الكتاب)

د. معمري زينب (*)

د.مرباح شفاعة (**)

مقدمة:

يعد سيبويه أشهرَ العلماء يدورُ اسمه على ألسنة الدارسين، ويُعدّ كتاب سيبويه من أهمّ الكتبِ المؤلفة في العربيّة وعلومها، فهو يمثّلُ بداية التّأليف في علوم اللّغة العربيّة ونحوها، وللكتاب مكانةٌ عالية عند العلماء فقد حرصوا على شرحه والتعليق عليه واختصاره، وأصبح الرجوع إليه أمرٌ ضروري في دراسة اللّغة، وحرص كلُّ عالمٍ على تضمين مصنفه بأقوال سيبويه وآرائه ومصطلحاته، وكثرت المؤلفات فيه. لذلك سيحاول هذا البحث عرضَ معلوماتٍ ومفاهيمٍ حولَ سيبويه وكتابه ليتّم التّعرفَ عليه، أو يتمّ تثبيت معلوماتٍ عنه واسترجاعها.

كلمات مفتاحية: سيبويه، حياة سيبويه، كتاب سيبويه، قيمة كتاب سيبويه.

(*) جامعة عمار تليجي الأغواط / الجزائر.
(**) جامعة عمار تليجي الأغواط / الجزائر.

أولاً: سيبويه:

١- **اسمه ونسبه:** يرجع أصل سيبويه إلى فارس فهو فارسي الأصل بالنظر إلى أصل أمه وأبيه «سيبويه إذاً فارسي صريح من ناحية أمه وناحية أبيه، وربما كانت اللغة الفارسية تحيا نوعاً من الحياة في منزله، وعلى لسان أمه وأبيه، ولعله كان على علم قليل أو كثير بهذه اللغة»^(١)

هو عمرو بن عثمان بن قنبر، ويكنى أبا بشر، وقيل أبا الحسن، وقيل أبا عثمان ولكن أثبتتها وأشهرها أبو بشر الملقب بسيبويه مولى بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، ومولى آل الربيع بن زياد الحارثي^(٢).

فسيبويه فارسي الأصل ولو أن اسمه عمرو وكُنِيته أبو بشر، وقد علل الأستاذ علي النجدي على هذه الاسماء بقوله: «كُلُّ هذه الاسماء تُشيرُ إلى والده كان عربياً بدليل تسمية ولده بعمرو وبدليل أن جده اسمه قنبر وهو اسم عربي، فربما لمتأت هذه التسمية عفواً بل ربما كانت ظاهرة من ظواهر الرغبة في التعرّب والزلفى إلى الدولة القائمة - الأموية - كدأب الأقليات مع الأكثريات، والمغلوبين مع الغالبين، أو من ظواهر الرغبة في التردد والمسالمة للدولة العربيّة، التي غلبت عليها العصبية القومية وعُرِفَتْ بإيثار العرب

(١) سيبويه حياته وكتابه: أحمد بدوي. مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، ٢٠١٩م.

(٢) أخبار النحويين والبصريين، السرياني. نشره فرانسيس كونكو، بيروت-لبنان، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦م، ص ٣٤.

(٣) إمام النحاة، علي نجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.

والانتصار لها^(٣) « وهناك من لم يقبل بهذا التعليل بحجة أن أبوه وجده كانوا مسلمين، فنسموا بأسماء عربيّة كما أنه عربي المنشأ والثقافة أما أجداده ففرس. فهو من أصل فارسي من البيضاء وأمّه فارسيّة، وقد لقبته عندما كانت تُرقصه وهو صغير بسيبويه»^(٤).

٢- **لقبه ومولده:** «وُلِدَ - رَحِمَهُ اللهُ - في مدينة البيضاء في نواحي مدينة شيراز بأرض فارس، وبعد أن كُبر وشب انتقل إلى مدينة البصرة، مدينة العلم والأدب وسائر فنون المعارف وعاصمة الفكر والثقافة آنذاك، فنشأ على محبة العلم وأهله والأدب وأربابه^(٥)» سيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء مكسورة - اسم فارسي معناه رائحة التفاح، وقد قيل أن كل من كان يلقاه يشم منه رائحة الطيب، وقيل سمي بذلك لنظافته، لأنّ التفاح من لطيف الفواكه، أو تشم منه رائحة التفاح، وقيل أنه سمي بسيبويه، لأنّ وجنتيه كانتا كالتفاحتين وكان هو في غاية الجمال، وقيل كان يعتاد شمّ التفاح^(٦).

(٤) ينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣١، ج ١٢، ص ١٩٥-١٩٦. وينظر: معجم الأدباء، الياقوت الحموي، ت أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، ج ١٦، ص ١١٤.

(٥) ما نسب لسيبويه خلاف ما في كتابه نماذج تحليلية: عبد الواحد بن محمد بن عيد الحربي. مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، العدد ١١٧، ديسمبر ٢٠١٨، ص ٨٥٩.

(٦) ينظر: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٩٥. ووفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٣٥. والفهرست، ص ٧٦. ونزهة الألباء، ص ٢٣٨.

فيكاد مؤرخو العَرَبِ يُجْمَعُونَ على أن معناه (رائحة التفاح) أو ما تعلق بالتَّفَاحِ معللين ذلك بأنه جَمِيلٌ له وجنتين كالتَّفَاحِ أو أفن له رائحة تشبه رائحة التفاح... وغيرها . أما المستشرق huart في كتابه La Littérature arabe (الأدب العَرَبِيّ) إنَّ هذه الصِّيْغَةَ قَدْ يَكُونُ مدلولها التَّصْغِيرُ في اللُّغَةِ الفارسيَّةِ، فيَكُونُ معنى اللقب إذا: التفاحة الصغيرة، والرأي في ذلك للعلماء باللغة، الفارسية، وسيبويه هو الطَّرِيقَةُ التي يُنْطَقُ بها هذا النُّوعُ من الاسماءِ المنتهية بـ «ويه» «ابن خالويه» و «نطويه»، أمَّا نطقه في لغته الأصلية فسيبويه بفتح الياء كما ضبطه ابن خَلْكَانَ وصاحب «إعجام الأعلام»، وبكسرهما كما ضبطه «إيوارت» وقد تعب المستشرق الفرنسي «دي ساسي» في ضبط هذه الكلمة وبيان معناها في كتابه: An. Gra. Ara. والمرجع أيضًا علماء اللغة الفارسية»^(٧).

ويرى كرنكو (F. Krenkow) أن هذه الكلمة كانت تنطق (سيبويه) (Seboe) وأنها كانت عبارة تحمل معنى التدليل والإعزاز، وتدل على التفاحة الصغيرة (APFELCHEN)^(٨) وقيل أنها تتألف من (سي) بمعنى الثلاثين و(بوي) بمعنى الرائحة ويكُونُ معناها مركبة: (ثلاثين رائحة) أي الكثير العطر، الساطع العرف.^(٩) وكلُّ من الرأيين يتفقان على ارتباط اسمه بالرائحة أو

بالتَّفَاحِ ما يجعلهما قريبين، وإن كان الأول أشهر. يقول أحمد بدوي: «يروي كثير من المؤرخين أنَّ سيبويه لم يطلب النَّحوَ أول ما طلب، بل كان يطلب الفقه والآثار، أي الحديث وتاريخ الغزوات (...). فقد يُعِينُ للمرء وهو يدرس ما يُشعره بالنقص في ثقافته، فيتَّجِهُ لاستكمال هذا النقص، وقد تظهر موهبته المكنونة في تلك المادة الجديدة، فينبغ ويمتاز. ومما لا ريب فيه عندي أنَّ سيبويه لم يكتفِ بالنَّحوِ والفقه والآثار، بل صرَّب في كلِّ علوم عصره بسهم»^(١٠).

٣-أساتذته وزملاؤه: أما عن أساتذته فقد ذكر التاريخ عددا من الاسماء: حيث «يذكر المؤرخون أن أول أساتذة سيبويه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ، ولا يمكن أن يُسمى عيسى أستاذه حتى يَكُونُ قَدْ أَخَذَ عَنْهُ العلمَ المختص به وأدركه، ولا يَكُونُ قَدْ أَخَذَ عَنْهُ إلا وهو يعقل ولا يعقل حتى يَكُونُ رشيدا^(١١)» ولقد اشتهر سيبويه بعلم النَّحوِ، الذي كرس له وقته وحياته ونبغ فيه واشتهر، وكتابه أول ما وصل إلينا في هذا العلم، ويذكر أحمد بدوي من أستاذه كالتالي:^(١٢)

ويحفظ التاريخ من أساتذته في تلك المادة سيد أهل الأدب وصاحب العقلية الجبارة الخليل بن أحمد، وهو أعظم أساتذته أثرا فيه، وأكثرهم اتصالا به وأخذا عنه، وكان سيبويه يعدُّ أبرع

(١٠) سيبويه حياته وكتابه، ص ١١.

(١١) ينظر: نزهة الألباء، ص ٣٩. وأخبار النحويين البصريين، ص ٤٨. ووفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٥٦. ومعجم الأدباء، ج ١٦، ص ١١٥. وبغية الوعاة، ص ٣٦٦. (١٢) ينظر: سيبويه حياته وكتابه، ص ١٢-١٣.

(٧) سيبويه حياته وكتابه، ص ١٠.

(٨) أبنية الصَّرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٥م، ص ٤٣.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٣.

تلاميذ الخليل في النحو وأوثق من حمل عنه، ومنهم عيسى بن عمر الثقفي، مؤلف كتابي «الإكمال» و«الجامع» في النحو، وهو الذي أخذ عن أبي عمرو بن العلاء تلميذ يحيى بن يعمر أحد تلامذة أبي الأسود.

ومنهم: أبو زيد الأنصاري تلميذ أبي عمرو بن العلاء أيضاً، وقد عاش أبو زيد هذا بعد سيبويه بنيف وثلثين سنة، ورأى المجد الذي أدركه تلميذه بتأليف الكتاب، وقد نقل عنه سيبويه فيمن نقل، فكان الأستاذ يقول كالمفتخر بذلك: كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي، وله ذؤابتان، فإذا سمعته يقول: حدثني من أتق بعربيته فإنما يعنيني.

ومنهم: يونس تلميذ ابن العلاء أيضاً، وقد عاش كذلك بعد سيبويه، ويروى أنه لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إن سيبويه قد ألف كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل، قال يونس: ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل؟ جيئوني بكتابه، فلما نظرت فيه ورأى كلماً حكى قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه عنه، كما صدق فيما حكاه عني.

ومن أساتذته في اللغة أبو الخطاب الأخفش الكبير، أستاذ أبي عبيدة معمر بن المثنى، وهو غير أبي الحسن الأخفش تلميذ سيبويه، وإن كان أكبر من أستاذه سناً. وروى سيبويه اللغة أيضاً عن أبي عمرو بن العلاء كما ذكر ذلك ياقوت في معجمه (ج ١١، ص ١٦٠)

فقد تلقى سيبويه علم القراءات واللغة والنحو عن أساتذته «كأبي عمرو بن العلاء» الذي كان عالماً بالقراءات واللغة، ونقل عنه في كتابه كثيراً

ولا سيما في القراءات والأصوات اللغوية ورواية الشعر والأمثال وكان أستاذاً لأستاذه «الخليل بن أحمد الفراهيدي»، و«يونس بن حبيب» اللذين روى سيبويه عن طريقهما أقوال أبي عمرو بن العلاء،^(١٣) هؤلاء هم فأساتذة سيبويه المشهورين زملاؤه: «ويذكر التاريخ من زملائه ثلاثة نبغوا على يد الخليل بن أحمد، هم: النضر بن شميل، وكان أبرع تلاميذ الخليل في اللغة، ومؤرّج العجل، وكان أبرعهم في الشعر واللغة، وعلي بن نصر، وكان أبرعهم في الحديث.^(١٤) وفي قول آخر يقال أنه: «نجم من أصحاب الخليل أربعة هم: عمرو بن عثمان سيبويه»، و«النضر ابن شميل»، و«أبو فيد مؤرّج العجلي»، و«علي ابن نصر الجهضمي»، وكان أبرعهم في النحو سيبويه، وغلب على «النضر ابن شميل» اللغة، وعلى «مؤرّج العجلي» الشعر واللغة، وعلى «علي ابن نصر» الحديث.^(١٥)

٤- وفاته: ويقول احمد بدوي: «ويظهر أن الصدمة كانت شديدة عليه فلم يحتملها، ولم يلبث أن مات غماً بالذرب؛ وهو فساد المعدة، وأعجله الموت، فلم يصل إلى بلده البيضاء، بل وافاه الأجل في شيراز أو بساوة بالقرب منها سنة ١٨٠ هجرية»^(١٦) ويقول ابن النديم: «قرأت بخط أبي العباس ثعلب وقد قدّم سيبويه، أيام الرشيد إلى العراق وهو ابن اثنين وثلثين سنة، وتوفي وله

(١٣) الكتاب، سيبويه، ت عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٤، ٢٠٠٤، ج ١، ص ١٤٤-١٩٤، وج ٢، ص ١٦٧.

(١٤) سيبويه حياته وكتابه، ص ١٣.

(١٥) أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص ٤.

(١٦) سيبويه حياته وكتابه، ص ١٩.

نيف وأربعون سنة بفارس»^(١٧) .

واختلفت سنة وفاته عند المؤرخين فالبدوي يذكر: «وتحديداً سنة وفاته بمائة وثمانين تحديداً ترجيحي كذلك، وحسبي أن أذكر أن بعض الرواة يضعها سنة إحدى وستين ومائة، وابن الجوزي يضعها سنة أربع وتسعين ومائة، والفرق بين التاريخين ثلاث وثلاثون سنة، أما سبب ترجيحنا فإن أكثر الرواة عليه، ويرجح ابن الأنباري، بدليل أنه مات قبل الكسائي، والكسائي مات سنة ثلاث وثمانين ومائة. كانت سن سيبويه عندما توفي تزيد على الأربعين، وعلى حسب ما حددنا تكون سنه زهاء خمس وأربعين سنة، وهو المعقول بموازنة التواريخ، فليس بمعقول إذاً أن نقبل قول الأستاذ أحمد أمين الذي يضع تاريخ وفاته في الثمانين بعد المائة، ثم يقول إنه مات وعمره نيف وثلاثون سنة؛ لأننا قلنا إنه أخذ عن عيسى بن عمر الذي توفي سنة تسع وأربعين ومائة، فيكون سيبويه حينئذ في المهد صبيًا.^(١٨)» وتحديد تاريخ وفاته لم يحدد بدقة لأن الروايات اختلفت بشأنها: «أما وفاته كما اختلفت الروايات في تاريخ ولادته اختلفت في سنة وفاته وفي سنوات حياته التي عاشها وهو ينتقل من فارس إلى البصرة فبغداد، فقد ذكر بعضهم أنه توفي ١٦١ هـ وذكر، آخرون أنه توفي سنة ١٧٧ هـ وقيل سنة ١٨٠ وقيل سنة ١٨٨ هـ، وقيل سنة ١٩٤ هـ»^(١٩) .

(١٧) الفهرست، ابن النديم، ص ٧٦.

(١٨) سيبويه حياته وكتابه، ص ٢٠.

(١٩) يُنظر: معجم الأدباء، ج ١٦، ص ١١٥. ونزهة الألباء، ص ٤٢. وتاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٩٩. وبغية الوعاة ص ٣٦٧. وفهرست ابن النديم، ص ٧٧.

ويُمكن القول أن تاريخ مولده أو طفولته أو وفاته لم تؤرخ بشكل دقيق فهي فقط ترجيحات أطلقها الباحثون بالاعتماد على عدة دلائل حسب آرائهم. **ثانياً: كتابه (الكتاب):** يعد كتاب سيبويه فتح على اللغة العربيّة، ذو فائدة عظيمة ونفع جليل للعربيّة ولدارسيها

١- **تسميته:** اسمه «الكتاب»، وهي تسمية لمترد عن سيبويه- رحمه الله -، ولا ينصرف هذا الاسم لغيره، بل صار اسم «الكتاب» علماً عليه بالغلّة، قال أبو سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) «: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال في البصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، ولا يشك أنه كتاب سيبويه»^(٢٠).

٢- **موقف القدماء من الكتاب:** تم تداول بعض الأقوال من العلماء القدماء عن الكتاب، ويمكن سرد بعضها كالاتي: ذكر أحمد بدوي بعض آراء الأقدمين وهي:^(٢١)

- «قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات، ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء. قال: ولله ما أهديت إلي شيئاً أحب إليّ منه.

(٢٠) ينظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص ٣.

(٢١) سيبويه حياته وكتابه، ص ٢٥.

-وذكر صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه قال: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب؛ أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطو طاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنّه شيء إلا ما لا خطر له. وقال السيرافي: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يُقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، ولا يشك أنه كتاب سيبويه (٢٢).

- وقال عنه صاعد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ) «لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها، اشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، وذكر منها: كتاب سيبويه البصري النحوي، ثم قال: فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنّه شيء إلا ما لا خطر له. «وقال عنه أبو عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ): «من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فاليسطي. «وكاناً لمبرد (ت ٢٨٦ هـ) يقول لمن أراد أن يقرأ عليه الكتاب «هل ركبت البحر؟! استعظاما و استصعابا» (٢٤).

٣- قيمة الكتاب العلمية:

- قال الجاحظ عن كتاب سيبويه: «لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله وجميع ما كتبت الناس (٢٢) ينظر: طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، ص ٣١. (٢٣) أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص ٣٩. (٢٤) الفهرست، ج ١، ص ١٤٣.

عليه عيال» (٢٥).

-ولقد كتبت الناس في العربيّة كثيراً وبَحَثُوا فِيهَا لكنه لم يصلنا شيء من ذلك حتى جاء سيبويه، فجمع ما درس، وما رواه عن أساتذته ولا سيما «الخليل ابن أحمد الفراهيدي» وقدمه للناس بعد أن أثبتته بالأدلة الوافية ومثّل له من القرآن الكريم، والشعر العربيّ الفصيح، وكلام العرب المشهورين بفصاحتهم وبلاغتهم» (٢٦).

-لقد صنع سيبويه للنحو ما لم يصنعه أحد، حتى ليعد بحق أستاذه الأشهر وإمامه المقدم ويعد كتابه فيه معيار العربيّة، وليس أدل على ذلك من كثرة من تناوله من أئمة اللغة بالبحث والدرس والنقد والتأليف، فهو بحق كنز من كنوز العربيّة، وليس لنحوي قديم أو حديث كتاب يجاري كتاب سيبويه أو يدانيه كما شهد بذلك القديمان بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين ومغاربة، وما يزال الكتاب جديداً على الرغم مما ألف بعده من كتب وأسفار وما يزال منبعاً صافياً لمن يريد دراسة النحو والصرف» (٢٧).

٤- تأليف الكتاب وانتشاره: تاريخ تأليف هذا الكتاب مجهول كل الجهل، ولم تذكر كل كتب التاريخ أن الكتاب ظهر في حياة مؤلفه، فالسيرافي والمؤرخون من بعده قد ذكروا أن الكتاب لم يظهر في حياة سيبويه، ولكنه ظهر بعد وفاته، والذي نقله عنه ورواه للجمهور تلميذه الأخفش، قال

(٢٥) وفيات الأعيان، ابن خلکان، ج ٣، ص ١٣٣.

(٢٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة

الحديثي، ص ٦٠.

(٢٧) ينظر: نفسه، ص ٦٠.

السيرافي: والطريق إلى كتاب سيبويه ، الأَخْفَش؛ وذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه، ولا قرأه عليه سيبويه، ولكنه لما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأَخْفَش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمرو الجرمي، وأبو عثمان المازني. وقالَ ياقوت في معجمه: وكان الأَخْفَش يستحسن كتاب سيبويه كُلاً الاستحسان، فتوهم الجرمي والمازني أن الأَخْفَش قد همَّ أن يدعي الكتاب لنفسه، فتشاورا في منع الأَخْفَش من ادعائه، فقالا: نقرؤه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه، وأشعنا أنه لسيبويه، فلا يمكنه أن يدعيه. فأرغبا الأَخْفَش وبذلا له شيئاً من المال على أن يقرأه عليه، فأجاب، وشرعا في القراءة، وأخذ الكتاب عنه، وأظهره للناس»^(٢٨).

ويقول ابن الأنباري: « وكان الأَخْفَش تلميذ سيبويه وكان أسنَّ منه وهو الطريق إلى كتابه لأننا لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه وما قرأه سيبويه على أحد، إنما لما توفي سيبويه قرئ الكتاب على الأَخْفَش حيث يقال أن «أبا الحسن الأَخْفَش» لما رأى كتاب سيبويه لا نظير له في حسنه وصحته، وأنه جامع لأصول النحو وفروعه استحسنته كُلاً الاستحسان، ويقال أن أبا الحسن الأَخْفَش قد همَّ أن يدعي الكتاب لنفسه فقال «المازني»، و «الجرمي» أحدهما للآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع «الأَخْفَش» من ادعائه؟ فقال له: أن نقرأه عليه فإن قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه، فلا يمكنه أن يدعيه، وكان «أبو عمر

(٢٨) سيبويه حياته وكتابه، ص ٢٦-٢٧.

الجرمي» موسراً و «أبو عثمان المازني» معسراً فأرغب «أبو عمر الجرمي»، «أبا الحسن الأَخْفَش» وبذل له شيئاً من المال على أن يقرئه وأبا عثمان المازني الكتاب فأجاب إلى ذلك، وشرعا في القراءة عليه، وأخذ الكتاب عنه وأظهره أنه لسيبويه، وأشاعا ذلك فلم يمكننا أبا الحسن أن يدعي الكتاب.»^(٢٩) وهذا ما يدل على أن الكتاب ألفه سيبويه لأنه معروف عند علماء اللغة والنحاة، وإلا لمت نسبته إلى شخص آخر غير سيبويه.

وانتشر الكتاب في مجالس الدرس ببغداد، ويرجع الفضل في ذلك «لأبي العباس المبرد» (٢٨٥هـ) الذي قرأه على «الجرمي» ثم «المازني»، وقد استطاع أن يلفت أنظار الدارسين في نفسه عندما وصل بغداد وعقد مجالس الدرس فيها، فاجتمع الناس حوله وأعجبوا بكتاب سيبويه، وانتقل الكتاب إلى مصر، نقله الدارسون الذين جاءوا منها إلى البصرة وبغداد أو الذين هاجروا إلى مصر من العراق، ولعلها شهدت الكتاب على يدي أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري (٢٨٩هـ).»^(٣٠)

٥-موضوع الكتاب ومَنْهَجَه: يختلف هذا الكتاب عن كتب النحو الأخرى، وترتيبُه ليس كترتيب الكتب المتأخرة، لذلك يجد بعض الدارسين له صعوبة في قراءته، فالكتاب لم ينفرد بالنحو وحده وإنما جمع كثيرا من علوم اللغة العربية كالصرف والاشتقاق والاصوات اللغوية وغيرها إلى جانب النحو، حتى وإن كانت جل فصوله تتحدث

(٢٩) نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص ٩٢.

(٣٠) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٦٢.

عن قضايا نحوية.

وقد جمع سيبويه في فصول مؤلفه مختلف مصطلحات النحو وشرح كثيراً من مسائله وموضوعاته وقد بدأه بقوله: «هذا باب علم ما الكلم من العريية»^(٣١) وفيه قسم الكلم إلى: اسم وفعل، وحرف، ثم تكلم على مجاري أواخر الكلم من العريية، وعلامات الإعراب والبناء، والمسند و المسند إليه، وغيرها من الموضوعات التي أخذها النحاة من الكتاب فبويها تبويهاً جديداً وشرحوها شرحاً مفصلاً. كما تحدث أيضاً على النسب، وتثنية الصحيح والمنقوص والمحدود، والجمع بالواو والنون وجمع التكسير والتصغير الذي يسميه التحقير أحياناً، ... وغيرها .

ومن هذا العرض لأهم موضوعات الكتاب يتبين أن سيبويه بدأ كتابه بموضوعات النحو بصورة عامة وذكر فيها بعض مسائل الصرف، وأتبعها بالحديث عن جمع النسب والتصغير وجموع التكسير وأبنية الاسماء والأفعال، والإمالة والوقف، وحروف الزيادة والبدل، وبعد أن انتهى منها عقد باباً في التصريف، وكان عنده بمعنى التطبيق والتمرين وذلك بقياس ما لم يجيء عن العرب على أبنية ما جاء من كلامهم من الصحيح والمعتل والمضعف والمهموز، وأنهاه بالإدغام.^(٣٢) وعن تقسيم الكتاب فـ «الكتاب مقسم إلى أبواب تبلغ زهاء ستمائة، كل باب منها يعالج ناحية من نواحي القواعد، وليس في الكتاب

مقدمة كما ذكرنا، بل أوله في صميم الموضوع؛ إذ يتحدث عن الكتاب جزءان: يحتوي « هذا باب علم ما الكلم من العريية » : أقسام الكلمة، فيقول الجزء الأول منهما على الكلم وأقسامه، والفاعل، والمفعول، وما يعمل عمل الفعل، وإعمال المصدر، واسم الفاعل، والصفة المشبهة، والحال، والظرف، والجر، والتوابع، والمعرفة والنكرة، والمبتدأ والخبر، والاسماء التي بمنزلة الفعل، والأحرف المشبهة به، والنداء، والترخيم، والنفي بلا، والاستثناء، وباب لكل من أحرف الجر. وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف، والنسب، والتصغير، والمقصود، والممدود، والجمع، والوقف، والإعلال، والإبدال، ووزن الكلمات.»^(٣٣)

ولكن ترتيب الكتاب يخالف النهج الذي نتبعه ويتبعه المؤلفون المتأخرون فيما يأتي:^(٣٤) أولاً: ترتيب أبواب الكتاب يخالف ما عهدناه من الترتيب فيما نتداوله من الكتب التي بين أيدينا، فلا يأتي بالمرفوعات كلها على حدة ثم المنصوبات والمجرورات مثلاً، بل بعضها ممزوج ببعض، فينتقل من الفاعل إلى المفعول، ثم بعد أبواب كثيرة يذكر المبتدأ والخبر، وهكذا.

ثانياً: لا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله على الطريقة المنطقية الدقيقة، فيقدم أبواباً من حقها أن تتأخر، ويؤخر أبواباً من حقها أن تتقدم، ويضع فصولاً في غير موضعها الطبيعي، فهو يتحدث عن المسند إليه والمسند، وكان من اللائق

(٣٣) سيبويه حياته وكتابه، ص ٢٨.

(٣٤) نفسه، ص ٢٨-٣٠.

(٣١) الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٢.

(٣٢) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٦٦.

أن يستوفي أبواب المسند إليه، من مبتدأ وفاعل وغيرهما، ثم يعود إلى المسند ليستوفي أنواعه وأحكامه، ولكنه لم يتبع ذلك.

ثالثاً: يذكر سيبويه الباب العام، ثم يعقد لكل مسألة من مسائله تقريباً باباً خاصاً يعالجها، فهو يُعنون مثلاً للتصغير، ويذكر صيغته المختلفة، ثم يعقد أبواباً للمسائل الجزئية فيه، فتجد باباً لتصغير ما يكون على خمسة أحرف، وآخر لتصغير المضاعف، وباباً لتصغير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته الزيادة للتأنيث، وأبواباً أخرى لفروع التصغير المختلفة.

رابعاً: يذكر مسائل في أبواب نضعها نحن تحت عنوانات أخرى، فمثلاً هو يعدُّ في أبواب الفاعل باباً للفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول، وباباً آخر للفاعل الذي يتعده فعله إلى مفعول، وباباً ثالثاً للفعل الذي يتعده فعله إلى مفعولين، بينما نحن الآن نضع ذلك تحت عنوان الفعل المتعدي واللازم.

خامساً: لا يذكر دائماً مسائل الباب الواحد سلسلة متصلة متتابعة، بل يذكر بعضها في موضع وبعضها الآخر في موضع ثانٍ، بعد أن يفصل بينهما في كثير من الأحيان بأبواب أخرى، وتذكر هذه المسائل لمناسبات تستدعيها.

سادساً: إنَّ الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرت بعد؛ ومن أجل ذلك نجده يضع عنوانات طويلة لأبواب، وغالباً ما تكون هذه العنوانات غير مفهومة لنا، فترى نفسك مضطراً إلى العودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها، وقلماً تجد عنواناً مفهوماً لك هذا باب الحروف:» في هذا

الكتاب، وحسبُك أن تعلم أنه وضع لأنَّ وأخواتها هذا العنوان الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، وهي من الفعل بمنزلة عشرين من الاسماء التي بمنزلة الفعل، ولا تُصَرَّف تُصَرَّف الأفعال، كما أن عشرين لا تُصَرَّف تُصَرَّف الاسماء التي أخذت من الفعل وكانت بمنزلته، ولكن يُقال بمنزلة الاسماء التي أخذت من الأفعال وشبَّهت بها في هذا الموضع، فنصبت درهماً لأنه ليس من نعتها، ولا هي مضافة إليه، ولم ترد أن تحمل الدرهم على ما حمل العشرون عليه، ولكنه واحد بيِّن به العدد، فعملت فيه كعمل الضارب في زيد، إذا قلت: هذا ضاربٌ زيداً؛ لأن زيداً ليس من صفة الضارب ولا محمولاً على ما حمل عليه الضارب، وكذلك هذه الحروف وبعد ذلك كله يقول: وهي إنَّ ولكنَّ وليت ولعلَّ وكأنَّ.

سابعاً: يذكر القاعدة وأمثلتها، ويمزج ذلك بالتعليقات المنطقية، وبيان وجه القياس فيما يذُكره من القواعد، وعرض الآراء المختلفة في الموضوع الواحد.

تاسعاً: لم تكن الأبواب قد تميَّز بعضها من بعض التميَّز الكافي، ويدلُّنا على ذلك باب التمييز وباب التعجب، ممَّا لم تتحدَّد معالمه التحدُّد الواضح في كتاب سيبويه.

إنَّ فترتيب الكتاب يخالف في ترتيبه الترتيب الذي يتبعه المؤلفون اليوم في دراسة النحو والصرف، وأيضاً يتميز بطول عناوينه العنوان الذي ذكره للأحرف المشبهة بالفعل فإنه قال: «هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، وهي من الفعل بمنزلة عشرين

كِتَابِهِ مَوْفُورِ الْأَبْوَابِ وَالْفُصُولِ ، تَعْرُضُ لِلصَّوْتِ
وَاللِّصْرَفِ وَاللِّنْحَوِ ، وَقَدْ ظَهَرَ فِي كِتَابِهِ عِدَّةُ مَنَاهِجٍ
أَبْرَزَهَا الْمَنَهْجُ الْوَصْفِيُّ ، وَلَقَدْ نَالَ كِتَابُ سَيِّبَوِيهِ
عِنَايَةً وَرِعَايَةً كَبِيرَةً مِنَ الْعَرَبِ التَّابِعِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ
مِمَّنْ بَحَثُوا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، فِدْرَسُوهُ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِ
وَأَبْوَابِهِ.

قائمة المراجع والمصادر:

- أحمد أحمد بدوي، سيبويه حياته وكتابه، مؤسسة هانداوي، المملكة المتحدة، ط ٢٠١٩ م
- أبو سعيد السيرفي، أخبار النحويين والبصريين، نشره فرانسيس كونكو، بيروت-لبنان، المطبعة الكاثولوكية، ١٩٣٦ م،
- علي نجدي ناصف، امام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣١، ،
- عبد الواحد بن محمد بن عيد الحربي، ما نسب لسيبويه خلاف ما في كتابه نماذج تحليلية. جامعة القصيم،
- خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥ م،
- سيبويه، الكتاب، ت عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٢٠٠٤ ج٤ ص ١٤٤-١٩٤، وج ٢،
- مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، ج ١٦ ،
- تاريخ بغداد، ج ١٢ ،
- بغية الوعاة
- ينظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم،
- ابن النديم، الفهرست، ج ١،
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣،
- ابن الأثيري، نزهة الألباء،

من الاسماء التي بمنزلة الفعل ولا تصرف الأفعال
كما أن عشرين لا تصرف الاسماء التي أخذت من
الفعل وشبهتها في هذا الموضع فنصبت درهما لأنه
ليس من نعتها ولا هي مضافة إليه ولمترد أن
تحمل الدرهم على ما حمل عليه العشرون ولكنه
واحد بين به العدد فعملت فيه كعمل (الضارب)
في (زيد) إذا قلت: (هذا ضارب زيدا)، لأن زيدا
ليس من صفة الضارب ولا محمولا على ما حمل
عليه الضارب، وكذلك هذه الحروف منزلتها من
الأفعال وهي أن، ولكن، ولعل، وكأن^(٣٥)
والأقوال على هذا الكتاب ومنهجه وخطته وأسلوبه
كثيرة لا يسع ذكرها جميعا في هذه المداخلة، ويمكن
الاطلاع على مصادر ومراجع هذه المداخلة للاطلاع
اكثر والمعرفة أكثر أو دراسة الكتاب بعينه أسهل
طريق لمن أراد قراءته واكتشافه بنفسه. فقد
طبعت عدة طبعات لهذا الكتاب وله نسخ خطية
وورقية ونسخ إلكترونية متوفرة للجميع.

خاتمة:

يعد كتاب سيبويه أول موسوعة عربيّة تجمع
بين علوم اللّغة العربيّة ، فمتن الكتاب يبين
الجهد الذي بذله سيبويه في تأليفه وتصحيحه
حتى يخرج بهذا الشكل الذي عليه، وهو جهد
عظيم لم يسبقه أحد إلى مثله ولا الف أحد مثله
من بعده، ولا يمكن إغفال من كان لهم دور في
نضوج سيبويه وفي كتابه فمعلموه لهم الفضل
الكبير وخاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي
تم ذكره كثيرا في مواطن من هذا الكتاب. وقد قدم
^(٣٥) الكتاب، ج ١، ص ٤٢١.